

جماليات التكرار في نماذج شعرية للمتنبي

الدكتور: عبد الحميد معيفي

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

ملخص:

يلعب التكرار دورا بارزا في تأكيد الدلالة وتفعيلها، وذلك بالتركيز عليه من قبل الكتاب والشعراء، فهو نابع من صميم التجربة الشعورية الشعرية التي مرّ بها الشاعر ويُعدّ كذلك ظاهرة أسلوبية مهمة في العمل الإبداعي، وهذا ما لاحظناه عند تتبعنا لهذه الظاهرة في هذه النماذج الشعرية للمتنبي الذي استطاع أن يطوعها لخدمة عدة جوانب في أبياته، ومنها الجانب الصوتي والإيقاعي والتصويري والدلالي مما جعل النص متكاملا، وبذلك فهو ظاهرة تتسم بالشمول والدقة، وتعمل على إثبات وجود اللفظة المكررة التي تكسيها الوظيفة الدلالية بعدها المعنوي الذي يكون وقعه كبيرا وبعده أكبر في النص.

الكلمات المفتاحية: التكرار، الجمالية، الدور، البعد الدلالي

Summary:

Repetition plays a prominent role in confirming the significance and activating it, by focusing on it by writers and poets, as it stems from the heart of the poetic emotional experience that the poet went through and is also an important stylistic phenomenon in creative work, and this is what we observed when we followed this phenomenon in these poetic models of the Mutanabi who He was able to volunteer her to serve several aspects of his verses, including the audio, rhythmic, pictorial, and semantic aspects, which made the text complete, and thus it is a phenomenon characterized by comprehensiveness and accuracy, and works to prove the existence of the repeated word that the semantic function earns after the moral, which has a great impact and beyond it is greater In the text.

Key words: repetition, aesthetic, role, semantic dimension.

تمهيد:

يظل المتلقي منتجا ثانيا للنص إذا كان قارئاً متميزاً؛ لأن دوره لا يقف عند مجرد الملاحظة أو التحليل وإنما دوره يُخَوِّل له بأن يكون ناقداً، لينقل النصّ من حالتي الغموض والإبهام إلى حالتي التجلي والوضوح، وذلك بفضل تفاعله الكلي مع مجريات النص لتصبح تجربة الشاعر ليست تجربة

خاصة، بل تشمل المتلقي الذي أصبح جزءاً من التجربة، فهي تلامسه وبذلك يصبح مجبراً على متابعتها والغوص بين ثناياها لمعرفة أسرارها والكشف عن معاني النص الدقيقة ودلالاته العميقة.

أولاً / التكرار ودلالته في غرض "الرثاء"

في هذا الغرض لم يول الشاعر اهتماماً كبيراً للتكرار في هذه المطولة إلا في بعض الألفاظ التي نجدها قد وُظِّفت بإحكام ودقة، وكذلك نجد الرثاء اللغوي الذي يغني الشاعر عن التكرار، وهذا ما تؤكدُه القصيدة التي يرثي فيها جدته لأمه فنجدته يقول: ⁽¹⁾

9. أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُورًا بِي فَمَتُّ بِهَا غَمًّا

10. حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي ... أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا

ونجد في البيتين اللفظة المكررة (ماتت ، مت ، ماتت)، إذ يُركّز على الموت؛ لأنه بهذا التكرار يؤكد الشاعر على أن الموت قاهر لكل الأحياء، ولا يوجد من يقف في وجهه، وكأنّ لفظة (ماتت) دالة على الموت الحقيقي الذي أنهى حياة جدته، أمّا لفظة (متّ) فهي مجازية وليست حقيقية، لأن الشاعر مات حزناً وغمّاً من بعد موتها هي ولفظة (ماتت) الثانية والتي تعود عليه هو: لأنّ السبب الذي ماتت به هو صار سُمّاً، بعدما كان سروراً، لأنّ رسالته التي كانت تحمل الأخبار السارة صارت تحمل السمّ الذي قتل به الشاعر جدته، وهذا الذي زاد في حزنه وألمه، والشاعر هنا تحوّل من خلال هذه العبارات التي يبدع في توظيفها حيث تحوّل من خلالها إلى ناقد لنفسه، للحياة بصفة عامة «... فالأديب الموهوب هو في مضمونه متذوق ناقد، وإن لم يفصح عن ذلك بنظرات نقدية، لأنها في الحقيقة كامنة في ثنايا عمله الأدبي أثناء الإبداع والخلق» ⁽²⁾

و النقد عادة لا يكون مركّزاً على القول فقط وإنما يركّز على الفعل، والشاعر في هذا البيت يقدّم ويعزّي نفسه من خلال هذا العتاب واللوم الحادّين تجاه نفسه، لأنها السبب المباشر في موت

¹ -ديوان المتنبي: تحقيق محمد خدّاش، دار الغد الجديد، ط1، القاهرة، مصر، 2013، ص 146

² -طه مصطفى أبو كريشة: أصول النقد الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1996، ص 69

جَدَّته ، لأنَّ ما قد مه إليها هو في نظره سمًا ، لأن رسالته عندما تأملتها جدَّته من شدَّة شوقها ماتت من الفرح ، حينما عرفت بأنَّه على قيد الحياة ، وهذا ما حَزَّ في نفسية المتنبي.

كما نجده في قصيدة رثائية أخرى يوظف بعض التكرارات حين يعزِّي "سيف الدولة" في موت أخته ، فخرج من الرثاء إلى الوصف والمدح أيضا حين يقول :⁽³⁾

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا ... وَإِذَا اهْتَزَّ لِلرَّدَى كَانَ نَصْلًا

وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا ... وَإِذَا الْأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلًا

ففي هذه الأبيات يعزِّي الشاعر " سيف الدولة " ليخفف عنه حزنه ، فيذكره بأهميته حيث يُوظف ألفاظا في بيت واحد وهي (إذا ، اهتزّ، كان) وكل لفظة يكرّرها مرتين ، وهذا التكرار المتعدد يحيط بخصال " سيف الدولة " فمن جهة يكون جَوَادا كريما سخيا معطاء، فهو مثل البحر يعطي بلا حساب، وفي الجهة المقابلة إذا جاء وقت الحرب كان هو السيف القاطع الذي يفصل بين الشك و اليقين ؛لأنه يحسم الأمور العالقة . فالتكرار في هذه الحالة عمل عمليين متناقضين و عبّر الشاعر بالألفاظ نفسها عن حالتين متناقضتين صادرتين من شخص واحد(سيف الدولة)، وهنا يكمن دور الشاعر حينما يُوظف التكرار ويجيده، وهذا التكرار يؤدي دوره ،وهذا ما لاحظناه في هذا البيت ، ومن خلال هذا التكرار تبرز لنا العلاقة التي تربط الشاعر بسيف الدولة ،وهي علاقة ليست مبنية على التكسّب فقط ، وإنما تجاوزت هذه المرحلة إلى مرحلة الودّ الحقيقي الذي يكنه الشاعر لسيف الدولة ، لأن العلاقة الثانية تستمر،وهذا ما جعل الشاعر يقف بجانب (سيف الدولة) في حالة الحزن ، ونفسه تحزن لحزنه « فالتكرار يسلّط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وإن هذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه »⁽⁴⁾

و التكرار الحاصل في البيت الأول يؤكده التكرار الحاصل في البيت الثاني ،فجاء بناء البيتين متماثلا، حيث كرّر الشاعر في البيتين لفظتي (إذا ، كان) كلّاً منهما أربع مرات ،وهذا لأن اللفظتين ساعدتا الشاعر على البناء الهيكلي للبيتين ولكن في البيت الثاني استبدل لفظة (اهتزّ) ، بلفظة (الأرض) ،وهذا كي يعطي مساحة أكبر لعملية الوصف ،وليجمع عدداً أكبر من مواصفات ومن

³ديوان المتنبي:ص337

⁴نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، منشورات دار الآداب بيروت ،لبنان ، 1962،ص240

امتيازات (سيف الدولة)، فهي عديدة ولكن هذا التكرار يقوم بجمعها في عبارات قليلة لكنها كافية ، لتقديم دلالة أكثر عمقا ، ومعنى أكثر إحياء ، ونجد الشاعر رغم أنه بالغ في هذا الوصف فقد شبه (سيف الدولة) بالشمس تارة ، و بالمطر تارة ثانية ، وفي هذا البيت تكرر يقوم بوظيفتين مختلفتين ، ويصبح (سيف الدولة) في الحالة الأولى جاعلا الليل نهارا ، وفي الحالة الثانية جاعلا الأرض الجرداء خصبة و تبقى اللفظة المركزية في هذا التكرار المتعدد هي لفظة (كان) ، والتي تعود على (سيف الدولة) ، ورغم أن (كان) فعل ماضي ، لكن الشاعر جعله يعبر بحسن توظيفه وبتكراره على الأزمنة الثلاثة في وقت واحد و هذه ميزة الشاعر الكبير الذي يصنع من عبارة واحدة ، ما لم يستطع أن يصنعه شخص آخر بعبارات عديدة « والشاعر الفذ المبتكر هو الذي يصنع طريقته الشعرية الخاصة ذات الطعم المميز...وعبقرية الشعر في الفردية والاختلاف...وبقدر ما يثري الشاعر اللغة يكون خادما لها »⁽⁵⁾

وهذا ما وجدناه واضحا وجليا في هذه العبارات القليلة التي وصف بها الشاعر حالات متعددة ، وكل حالة من الحالات الموصوفة تنطوي على أجزاء عديدة ومتنوعة ورغم أن هذه الأبيات تنطوي على غرض الرثاء لكن لم يمنع ذلك الشاعر من مدح " سيف الدولة " ، كما نرى مغالاة في المدح ، و لكننا نحس كمتأملين بأن هذه الأبيات نابعة من نفس صادقة « والواقع أن المتنبي لم يجد المدح إلا في سيف الدولة ، حيث جاء المدح صدى لنفسه ، ونجوى فؤاده امتزجت به روحه في شعر صادق جميل »⁽⁶⁾ ، وهذا ما أحسنا به سواء أكان ذلك في معالجة الأبيات المدحية ، أو في هذه الأبيات التي تنتهي إلى غرض الرثاء ، كما يؤكد التكرار العلاقة القوية و الحب الشديد الذي يكنه المتنبي لسيف الدولة في هذا البيت الذي هو مطلع لقصيدة رثائية ، يرثي فيها أخت سيف الدولة ويعزيها قائلا :⁽⁷⁾

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ ... كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

فالتكرار في هذا البيت بين من خلاله قيمة " سيف الدولة " ، لأنه كان أخا وأبا في الوقت نفسه للفقيدة ، وأيضا يبين من جانب آخر بأن الشاعر يقصد نفسه بهذه الأخوة و الأبوة ، أي أن سيف الدولة هو خير أخ ، وخير أب للشاعر ، وهذا يبرز مكانة سيف الدولة ، والتكرار الذي وظفه الشاعر)

⁵ - سعيد بن زرقعة : الحداثة في الشعر العربي ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص 220
⁶ - محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص 181
⁷ - ديوان المتنبي : ص 359

خير، خير) يعطي دلالات أخرى «... لأن كلّ مكرّر... إنما يتم شحنه بدلالة جديدة من خلال السياق الجديد الذي وقع فيه»⁽⁸⁾، وهذا الكلام المعبر عن تكرارات الشاعر في البيتين حين يقول: ⁽⁹⁾

غَدَرْتُ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسَكَّتَ مِنْ لَجِبِ

. وَكَمْ صَحَبْتُ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ ... وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخْبِ

يكرّر الشاعر لفظة (كم) أربع مرات في بيتين متتاليين و حاول الشاعر أن يحصر بهذه اللفظة عدّة دلالات ومعاني، وقد وفق في ذلك ، فالمكرّر هنا يدلّ على الكثرة .

ثانيا/ التكرار ودلالته في موضوع "التهنئة "

وفي موضوع التهنئة، فإن الشاعر يكرر الألفاظ في أبياته، إلا أن هذا التكرار يحمل دلالة فلسفية في ملامح حكمية، في بناء شعر محكم حين يقول: ⁽¹⁰⁾

. هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ...وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعَيْدًا

ونجد في هذا البيت تركيزاً على لفظة (العيد) التي ذكرت أربع مرات وهي : (العيد ، عيده، عيد، عيداً) ،ولكنه في كل موضع يوظف الكلمة بصياغة مختلفة عن توظيفها في المواضع الأخرى ،وهذا ما زاد البيت رونقا ،حيث كان الترتيب ترتيباً تسلسلياً من المعرفة إلى النكرة ، وفي الكلمة الأخيرة إطلاق فيه تفاخر من طرف الشاعر، إذ جمع وأحاط بكلّ الناس، وإن وراء هذا الوصف غاية يريد الشاعر الوصول إليها ،وهي كسب الأموال، « ولكن هذا لا يعني أنهم غير ملومين ،كان الأجدى بالشعر أن يحطموا مفهوم قداسة المال، لا أن يصرعهم بريقه ، فيصارعون في سبيل ما يرفع من شأنهم نزولا وبلا عندما هو سائد في المجتمع عصرئذ »⁽¹¹⁾، ولكن تبقى غاية " المتنبي " من وراء كل هذا هو حلمه في الولاية ،وهي الغاية التي تمثل حلمه الذي يفوق ويتجاوز مرحلة وغاية جمع المال .

وفي بيت آخر، يعد من أشهر الأبيات الحكمية ،إذ يستدل بها المتكلم في جميع المواقف ،حيث كرّر لفظتين في هذا البيت وهما : (إذا أنت أكرمت) حيث يجعل اللفظتين تنطلقان من نبع واحد

⁸-خليل بن ياسر البطّاشي : الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للنشر و التوزيع ،ط1، عمان الأردن ، 2009، ص 199

⁹-ديوان المتنبي :ص 359

¹⁰-ديوان المتنبي :ص 305

¹¹-على الشعبي: الايجابية و السلبية في الشعر العربي بين الجاهلية و الإسلام، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا ، 2002ص138

وهو الكرم ، ولكن في اتجاهين متعاكسين ، ولكن تصلان إلى غايتين متعاكستين فالاتجاه الأول وهو إكرام الكريم ، ونتيجة هذا الإكرام أنك تملك هذا الكريم ، والاتجاه الثاني هو : إكرام اللئيم ، ونتيجة هذا الإكرام أن اللئيم يتمرد عليك ، حين يقول :⁽¹²⁾

. إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

واختلاف الدلالة في الشعر يبرز دور الشعر ، وبأن الشعر يستطيع من خلاله الشاعر الحقيقي أن يشكّل منه ما يريد وما يرغب في تشكيله ، كي يصل من خلال هذا التشكيل إلى أبعاد النفس وإقناع المتلقي فيجعله يعيش كل لحظة ، ويعايش كل موقف يتعرض له ، لأنه وجد في هذا الشعر السند الحقيقي ، والدليل القاطع للاستدلال به في كل هذه الحالات ، وفي جميع تلك المواقف التي يتعرض لها المتلقي الذي تعلق إحساسه بهذه المعاني والدلائل ، وقد لا حظناه في البيت السابق الموجه للكريم وللئيم في الوقت نفسه ، وهذا يعود للتدفق الشعوري الذي ينساب عليه انسيابا ، ومطاوعة اللغة له ، أمّا ما قاله في العموم « ففي قصائد فخمة مع مقدمة غزلية ، أو موضوع غنائي فلسفي و مدح تارة ، أو قصائد أقل إتقاناً بترضمها كل ماهو ليس بمديح، أو مجردة من التسيب الغزلي فقط تارة أخرى »⁽¹³⁾

ونجد في قصيده أخرى يعطي للتكرار نصيبا كبيرا مع الإجادة في التوظيف ، والإتقان في البناء و المتانة في السبك حين يقول :⁽¹⁴⁾

. نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْ ... سَنَ مِنْهَا مِنَ السَّيِّئِ وَالسَّنَاءِ

. حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرِّيَاحِينَ مِنْهَا ... مَنْبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ

. تَفَضَّحَ الشَّمْسُ كُلَّمَا دَرَّتِ الشَّم ... سُبُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

. إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ ... لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

. إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَأَبْيَضَاضٌ أَل ... نَفْسٍ خَيْرٌ مِنْ أَبْيَضَاضِ الْقَبَاءِ

¹²-ديوان المتنبي :ص 305

¹³-رجيس بلا شير: أبو الطيب المتنبي : ترجمة : إبراهيم الكيلاني ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2001 ، ص 244 ، 245

¹⁴-ديوان المتنبي :ص 371

و نجده في هذه الأبيات ينوع في تكراره ، مستعينا بعناصر الطبيعة التي ساعدته في رسم هذه اللوحات الفنية البديعة ، ففي البيت الأول منها يكرّر كلمة (السنى ، و السناء) و يجعل الكلمتين متشابهتين نطقاً مختلفتين معنى ، بحيث عبّر بهذا التكرار بالسنى عن الضوء ، وعبّر بالسناء عن المجد ، ويقول: في هذا التكرار كأنك أنزلت الدار الأولى بدار أفضل منها ، كما نجد التكرار في البيت الثاني والبيت الثالث توحى بشاعرية كبيرة حين يقول :⁽¹⁵⁾

. حَلَّ فِي مَنبِتِ الرِّيحَيْنِ مِنْهَا ... مَنبِتُ الْمَكْرَمَاتِ وَالْأَلَاءِ

. تَفْضُحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّم ... سُبُ شَمْسِي مُنِيرَةً سَوْدَاءِ

و يبرز التكرار الحاصل في البيت الأول بأن المكرمات متجذرة و متأصلة عند " سيف الدولة " و كذلك النعم التي توجد بوجوده، وأن التكرار الموظف في البيت الثاني الذي يكرّر فيه لفظة (الشمس) ثلاث مرات متتالية ليدلّ هذا التكرار الذي يجذب المتأمل و يشدّه ليغوص في معناه ، ليقول: أن "سيف الدولة " له (شمس) خاصّة تحجب كل الشّمس ، فإذا طلعت فنورها وضياؤها يخفي و يبعد نور وضياء الشمس .

و كذلك يبدع الشاعر في البيتين الرابع و الخامس حين يقول :⁽¹⁶⁾

. إِنْ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ ... لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

. إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَ أَبْيَضَاضُ الـ ... نَفْسٍ خَيْرٌ مِنْ أَبْيَضَاضِ الْقَبَاءِ

حين نتأمل البيتين يدهشنا هذا الوصف الرائع وهذه العبارات الموحية والدالة على قدرة الشاعر في ابتكار الصور ، وفي تنسيقها ، بحيث يترك المتلقي يحтар في هذا التنسيق ، حيث كرّر (الضياء) في البيت الأول و كرّر لفظة (ابيضاض) ، ونصل من خلالهما إلى أن ضياء سيف الدولة فاق كل ضياء ، ويستهزئ ضياؤه بكل ضياء آخر ، وكذلك بياض نفس سيف الدولة فاقت بياض الثوب ، وإن كنّا نجد مبالغة إلّا أننا في حقيقة الأمر نتمتع بهذا المستوى الراقى الذي وصلت إليه الشعرية العربية ، لأن الشاعر انطلق من أشياء بسيطة ، لكنه بخياله الواسع وصل إلى قمة الإبداع ، فان كان الواقع يساعد الشاعر ، لكن المقدرة التي يمتلكها الشاعر هي التي كان لها الدور الكبير في جعل

¹⁵-ديوان المتنبي :ص 371

¹⁶- المرجع نفسه :ص 18

الأبيات تلمع وتُهر هذا اللمعان الشديد ، فالواقع ليست له قوة كافية للتأثير إذا نقل كما هو «... أما الخيال فقوته في براعة تصويره و سعة محيطه ، وهو أشبه بالدائرة المتسعة التي تجمع الخواطر منسقة مهذبة في محيطها ، لتبرزها في أبدع ملامحها الساطعة...»⁽¹⁷⁾ وإن دور الخيال لا يقف عند هذا الحد، بل يتجاوز ذلك ليدخل أعماق المتلقي إلى عالم أكثر حرية مليئا بالمتناقضات الجميلة التي تجعل النفس تحلق في سماء الشعر.

ومن هنا نرى أن التكرار الذي وظفه الشاعر في هذه الأبيات وغيرها كان أثره واضحا اعتمده الشاعر، حيث ساعده التركيز على بعض العناصر القريبة، مثل (الشمس ، البياض ، الثوب ، الضياء ، منبت)، ولما كررها الشاعر حملت سياقات أخرى مهمة، لعبت دورا كبيرا في السياق العام عندما خرجت من دلالاتها الحقيقية ، وهذا يعود إلى براعة الشاعر، لأن الكلمة تصبح لها مدلولات عديدة، وفي بعض الأحيان تُوظف الكلمة نفسها مرتين لكن تحمل معنيين متعاكسين ، وهذا التناقض يعطي مساحة أكبر للشاعر كي يسبح في بحر اللغة و يجمع أكبر عدد من المفاهيم ومن الصور البديعية .

ثالثا / : التكرار ودلالته في موضوعي "الاشتياق والوداع"

يبقى شعر المتنبي قويا دالا و موحيا في جميع الأغراض ، فكلما حاولنا الغوص ، في شعره وجدناه يؤكد لنا على أنه يعالج كل الأمور التي يتكلم عنها بصدق ، وقد أحسنا بهذا في كل غرض من هذه الأغراض والمواضيع ، وفي هذا الموضوع عبارات مكررة يعتمد عليها في رسم صور الشعرية ، وفي الوصول إلى الدلالة العميقة ، وهذا ما نجده في شتى أغراضه وماضيه الشعرية ، يقول في موضوع الاشتياق :⁽¹⁸⁾

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ... إِنَّ المَلامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وفي هذا البيت عبارتان ، كل عبارة منهما تكررت مرتين في (أحبه ، أحب) و (ملامة ، الملامة) ، حيث بين التكرار مدى حب الشاعر للشخص الذي يوجه له الكلام، لأن حبّه أصبح مضاعفا ، لأنه عرف بأن المقصود ببادلته الحب ، والدليل على ذلك اللوم الموجه إلى الشاعر ، لأننا نعرف في حياتنا اليومية أن اللوم يأتيك من طرف الشخص الذي يهمله أمرك ، أي الذي يحبك ، و الشاعر يحب

¹⁷ -محمد رجب البيومي : بين الأدب و النقد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، مصر، 1977، ص 84

¹⁸ -ديوان المتنبي :ص 288

ملامة هذا الشخص لأنه بقدر ما تكون ملامته و معاتبته كبيرة يكون حبه كبيرا، و الشخص الذي لا يحبك لا يبالي بك ، ولا يلومك .

ويبرز التكرار في هذه الأبيات حكما وضع أمام القارئ، ومن خلال هذه التكرار يتجلى صدقه؛ لأن الشاعر « إذا كان صادقا مع ذاته لا يمكنه أن يحدّد مسبقا الشكل الذي يكتب فيه، وإنما التجربة هي التي تخلق أثناء الممارسة شكلها... »⁽¹⁹⁾؛ لأنّ الصدق يمنح للشعر طعما ووقعا آخر، فالقارئ حينما يحسّ بصدق الكلمات، يتأكد بأن هذه الكلمات نبعت من وجدان تأثر حقيقة و خاض معاناة في تجربته، وهذه التجربة قد تكون سارة، أو مؤلمة، وفي الحالتين يتجاوب المتلقي مع الشاعر، لأنّ ما نبع من القلب يصل حتما إلى القلب .

وللتكرار أسلوب معين، و الشاعر يستعمل الأسلوب الذي يجده ملائما لتمرير خطابه الشعري إلى المتلقين ، و إذا استعمل الأسلوب الأمثل في التكرار سوف يحيط بقلوب المخاطبين ،«... أن أسلوب التكرار، كأى أسلوب يمكن أن يكون عنصر بناء إيجابيا ،إن أحسن استخدامه ،و يمكن أن يكون عنصرهدم إن أسيء استعماله ... »⁽²⁰⁾ ، والتكرار عند المتنبي يصنع بناء جديدا محكما على غرار هذه الأبيات التي يقول فيها :⁽²¹⁾

لَا تَعْدُلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ ... مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُوبُ قُرْبُهُ ... لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

وبهذا التكرار المتعدد وإن كان غير متجانس تجانسا تاما ، لكن الشاعر وصل من خلال توظيفه المحكم و اللافت للانتباه السيطرة على المواقف التي أراد القول فيها ،فالكلمات المكررة هي : (المشتاق ،أشواق) ، و (حشاك ،أحشائه) ،و (القتيل، القتيل) ،و (مضرجا، مضرجا) و (العشق ،والمعشوق) ،وفي هذه الأبيات بناء هرمي مثيرو معانٍ فيها من الإبداع الشيء الكثير ، وبهذا التكرار يؤكد المتنبي على أهميته، وما يلعبه في التأثير وعمق الدلالة ،هو أن الشاعر لم يعدده كثيرا كي لا يحدث الملل ،بل أعاد كل كلمة مرتين، وعدد من التنوع في الألفاظ و الحالات المعبر عنها فجاءت الأبيات حاملة تكرارا

¹⁹-محمد بن عبد الحي : التنظير النقدي و الممارسة الإبداعية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،مصر، 2001، ص 120

²⁰-المرجع السابق،ص 125

²¹-ديوان المتنبي :ص 289

من أفضل التكرار، فجعلت الشاعر يبدع، وخاصة في البيت الثاني الذي لأمس الدقة في الوصف مع الإبداع، حيث جعل مَيّت الغرام و الحب هو نفسه ميت السيف و الرمح، لأن العاشق في نظر الشاعر هو في حقيقة الأمر مَيّت، ومن خلال هذه التكرار نرى بأن النصّ مترابط الأجزاء متلاحم المعاني و الدلالات؛ لأن «...وظيفة التكرار... تمتدّ إلى مساحات النصّ كله، وذلك بسبب كون التكرار يمثل حلقة وصل رابطة بين... الوظائف لكي تعمل مجتمعة على تعميق الوظيفة الأسى للتكرار، ليخرج عندها ملمحاً أسلوبياً»⁽²²⁾، فإذا كان التكرار أسلوباً من الأساليب، فالمتنبّي له أسلوب تكراري خاصّ به يميّزه عن غيره من الشعراء المميزين في عصره وفي عصور أخرى، والنصوص تثبت ذلك، وإذا انتقلنا إلى الأبيات التي تنتمي إلى موضوع الوداع، وجدناها لا تقل ترابطاً و تماسكاً وإيحاء عن سابقتها في الأغراض والمواضيع، وهذا ما يزيد في التأكيد على أن شعر "المتنبّي" جلة في مستوى راق؛ لأنه يمتاز بعدة صفات مكنته من الوصول إلى هذه المرتبة من التفوق، ولو عدنا إلى توظيف التكرار لوجدنا شيئاً من الفروق التي تتجلى و تظهر ليستطيع النقاد التمييز بين جودة شعر وآخر من خلال الألفاظ المكررة في هذا الشعر، أو ذاك «... ذلك أن لكل لسان معاييره التي يتفرد بها، ولكل عقل مكوناته و أهدافه الذاتية و الموضوعية التي يفترق فيها عن غيره من العقول اللاحقة به أو السالفة عليه...»⁽²³⁾.

وهذا ما تؤكده الأبيات التي تناولناها في هذه الدراسة و أبيات عديدة أخرى لعب فيها التكرار دوراً بارزاً في تكثيف الدلالة و المعنى من جهة، و في مساعدة الشاعر على رسم أبياته رسماً دقيقاً وتوجيهها التوجيه اللائق، كما هو ظاهر في هذه الأبيات حين يكرّر الشاعر لفظة (الوداع) أربع مرات في بيت واحد دون أن ينقص من مكانة البيت، بل على العكس زاد هذا التكرار المتعدد جودة و تميزاً، ولأنّ الزيادة فيه تقلل من أهميته، أو تضيف حشواً في البيت، ومن الأمثلة الجيدة على هذا قوله:⁽²⁴⁾

. مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ ... هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ

. إِذَا السَّحَابُ زَفَّتْهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعاً ... فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدِ

. وَيَا فِرَاقُ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنْزِلُهُ ... إِنَّ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تُعَدِ

²²-سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي (دراسة أسلوبية)، ص 164-165
²³-محمد مبلوحي: الخطاب الشعري الجاهلي " في ضوء النقد العربي المعاصر"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

سوريا، 2009، ص 15

²⁴-ديوان المتنبي: ص 188

في هذه الأبيات نجد الشاعر وظفه في حالتين ، وفي كل حالة يكرّر العبارة نفسها في الحالة الأولى (الوداع ، الوداع) ، وفي الجالة الثانية (وداع، وداع) ويجعل من خلال الحالتين حوارا في البيت ذاته ، أي هناك سؤال و جواب ، وكأنّ صدر البيت يسأل وعجزه يجيب " إنه فراق الروح للجسد " ، ومن هذا التكرار و الذي حمل إجابة التساؤل يبين لنا الشاعر بأن فراقه لسيف الدولة هو موت بالنسبة له ، وهذا يدلّ على المكانة التي يحظى بها "سيف الدولة " عند الشاعر، فلقد صار "سيف الدولة " و كأنه الروح النابضة في جسد الشاعر ، فعند وداعه ، فإنّ الجسم ودّع روحه ، رغم المبالغة ، إلا أن الصورة التي حصرها الشاعر في هذا التكرار كانت بديعة ، وخاصة في الشطر الثاني من البيت الأول ، وهذا يوصلنا إلى أن التكرار له وظائف عديدة إذا أحسن الشاعر توظيفه ، فإنه « ... يبعد النصّ الأدبي عن النمطية و الرتابة التي تذهب رونق العمل الأدبي»⁽²⁵⁾

و نحن في حقيقة الأمر لم نشعر بهذه الرتابة طيلة جولتنا مع أبيات المتنبي ، بل، فكلما قرأنا نرى الرغبة والشوق في قراءة ثانية وثالثة ؛ لأننا وجدنا في هذه الأبيات التي كوّنت نصوصا طويلة وقصيرة غاية في الإتقان و الجودة و البناء ، ويرجع هذا لعدّة أسباب ، ومن بينها الثراء اللغوي الذي يزخر به قاموس الشاعر ، و القدرة العظيمة على التحكّم في الإطار العام للأبيات كي تسير في نظام محكم لا تحيد عنه ، وكذلك في تنوع الدلالة و المعنى ، وهذا يعود أيضا إلى أنّ الألفاظ التي يكرّرها تضيف للعبارة المكرّرة معاني عديدة ومنها المتعاكسة ، وذلك في البيت الواحد ، وهذا من شأنه أن يعزّز مكانة شعر المتنبي و يجعل له ميزة تجعله يتفردّ ، وظاهرة التكرار لا يتقن توظيفها أو التحم فيها جميع الشعراء ، لأنّ منهم من لا يحسن التحكم فيها ، وبذلك تصبح مؤثرة سلبا. أما شاعر كالمُتنبي يتقن التعامل مع جميع الظواهر التي كونت أسلوبه الفريد والمتميز.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ديوان المتنبي : تحقيق محمد خدّاش ، دار الغد الجديد ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 2013 .

المراجع:

²⁵-مصطفى محمود السيّد : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1 ، الإسكندرية ، مصر ، 1981 ، ص 253

2. خليل بن ياسر البطّاشي : الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للنشر والتوزيع ، ط1، عمان الأردن
3. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب بيروت، لبنان ، 1962.
4. رجليس بلاشير: أبو الطيب المتنبي : ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، سوريا ، 2001 .
5. طه مصطفى أبو كريشة : أصول النقد الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان مصر، ط1، 1996 .
6. على الشعيبي: الايجابية و السلبية في الشعر العربي بين الجاهلية و الإسلام، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا ، 2000 .
7. طه مصطفى أبو كريشة : أصول النقد الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان مصر، ط1، 1996 .
8. سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي (دراسة أسلوبية) .
9. سعيد بن زرقعة : الحداثة في الشعر العربي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2004 .
10. محمد مبلوحي : الخطاب الشعري الجاهلي " في ضوء النقد العربي المعاصر" منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2009 .
11. محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2004 .
12. محمد بن عبد الحي : التنظير النقدي و الممارسة الإبداعية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر، 2001 .
13. محمد رجب البيومي : بين الأدب و النقد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، مصر، 1977.
14. مصطفى محمود السيد : الإعجاز اللغوي في القصّة القرآنية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1، الإسكندرية ، مصر ، 1981.
15. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب بيروت، لبنان ، 1962.